ندوة علمية بعنوان:" الصحراء في الرواية العربية المعاصرة " يوم 06 ماي 2024

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

عنوان المداخلة:

البناء الأسطوري، بين سيمائية الرمز والبعد الصوفي

رواية "من أساطير الصحراء" للإبراهيم الكوني، قصة الجبل نموذجا

The legendary structure; between the semiotics symbol and the sufi dimension,

The novel "Some of the Legends of the Desert" by Ibrahim Al-Koni

The story of the mountain is a model

د. لبنى خشة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية–قسنطينة

khecha_loubna@yahoo.fr

الملخص:

يهدف هذا البحث لدراسة الأسطورة في الرواية، من خلال تركيب بنائها، الموظف في المدونة، وفق مسار نقدي تحليلي يستعين بالمنهج السيميائي.

تشعب البناء الأسطوري من خلال السرد في أسطورة الجبل، وأسطورة التيه، وأسطورة المارد، وسنركز على اسطورة الجبل، لما يحمله هذا البناء من رموز التي عكست من جهة السحر والخيال، ومن جهة أخرى حملت أبعادا صوفية، ليخلق الروائي عالما من الأحداث السردية التي تجمع بين الواقعي والخيالي، فأعطي الروائي سيرورة لإنتاج دلالاتٍ جديدة، وبعدا متفردا لأحداث الرواية.

الكلمات المفتاحية: إبراهيم الكوني، الأسطورة، البناء، الرمز، التصوف.

Abstract
This research aims to study the myth in the novel, by synthesizing its construction, used in the selected blog, according to an analytical critical track that uses the semiotic approach.

The legendary construction is divided through the narration of the legend of the mountain, the legend of Loss, and the legends of the genie, the legendary building was full of symbols that on the one hand, reflected magic and imagination, in the other hand carried mystical dimensions, that the novelist create a world of narrative events that combines reality and imagination, He gave the novelist a process to produce new connotations and a unique dimension to the events of the novel.
Keywords: Ibrahim Al-Koni, myth structure, symbol, Sufism.

المقدمة:

احتلت الأسطورة مكانة مرموقة عند الشعوب قديما وحديثا، بِعَدِّها أحد أهم فنون الأدب الشعبي والشفهي، وجد الإنسان بين تفاصيلها –في أزمان سابقة–إجابات تُفسر عديد تساؤلاته حول الظواهر الكونية المحيطة به، وبعضًا من خفايا عوالم عجز عن فهمها أو الوصول إليها، أما في العصر الحديث والمعاصر، فهي مادة غنية استثمرها الأدباء كمصدر خصب من مصادر إثراء الكتابة التي تحمل أبعادَ الرؤية الإبداعية للمجتمع، فتلبسوها أقنعة خفية للتحرك بحرية بين تفاصيل الأحداث، والتعبير دون قيود عن المجتمع.

وقد تجلت الأساطير في العصر الحديث في صيغة أدبية لافتة، سواء كانت في بداية توظيفها في الشعر، أو عبر امتدادها لكلٍ من القصة والرواية، وتميز ظهور الأسطورة في الرواية –خاصة منها العربية– عند العديد من الكتاب العرب، والمتصفح لهذه الروايات العربية يجد الكثير منها تحتفي بالأسطورة، أو تجعلها مادة أساسية في التكوين السردي للأحداث، ونذكر بدايات هذا المنحى مع توفيق الحكيم في روايته **عودة الروح** 1933 ، ونجيب محفوظ، في كل من؛ **عبث الأقدار** 1939، **رادوبيس** 1943، **وكفاح طيبة** 1944 ، ليكتمل المسار مع كثير من الروائيين المعاصرين، أمثال: صنع الله إبراهيم ورواية **اللجنة** 1980، السوداني يوسف خليل في **نشيج الدغل** 1982، ورشيد بوجدرة في **الحلزون العنيد** 1985، وجبرا إبراهيم جبرا في **الغرف الأخرى** 1986، وإبراهيم الكوني في **نزيف الحجر** 1990، وفاضل العزاوي في **آخر الملائكة** 1992، وغيرهم...والملاحظ محاولة معظم كتاب الرواية استعادة منجزات المخيلة البشرية في الحقل الأسطوري، وخلق مناخات للاستنهاض بالمخيال الشعبي الزاخر بما له عميق الصلة بكل ما هو أسطوري في مغاور النسيان،

لإنجاز ما يمكن تسميته حفريات روائية، تحاول الغوص في أعماق الماضي وتجديده في صور إبداعية مغايرة، ولم تخلُ الأبحاث والدراسات من الحديث عن عالم الأسطورة، سواء كان الطرح فكريا كما جاء في كتاب فلسفة الأسطورة لألكسي لوسيف، وكتاب الأساطير لأحمد كمال زكي، أو كان الطرح أدبيا نقديا ككتاب النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة لنضال صالح، وكتاب الأسطورة في روايات نجيب محفوظ لسناء شعلان، أو كان العمل جامعا بين المتعة الأدبية، إلى جانب كونه بحثاً فكرياً معمقاً، ككتاب الأسطورة والمعنى لفراس السواح.

ومن الفضاءات التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بعالم الأساطير؛ الصحراء التي جذبت كثيرا من الكتاب والفنانين لتصوير تفاصيلها، فرسموا امتدادا لا نهائيا من الرمال والسراب والفراغ، موطن الحر الطاغي، والجفاف والجدب علامات لا تفارق أبعادها، فالصحراء فضاء مغايرا لما ألفته الكتابة، حملت بين كثبانها ضبابية الرؤية... تختفي فيها معالم الطريق، وتتجلى أبعاد الضياع في خصوصية المكان بكل ما يحمله من دلالة رمزية، ولعلّ أبرز الروائيين الذين جعلوا الصحراء فضاءً رمزيا للأسطورة، الروائي إبراهيم الكوني*، الذي اهتم بتتبع تفاصيل الصحراء، تفاصيل بكماء تُنطق الرمل والصمت، تلبس حلة لطُهر الروح والتأمل والسكينة، فضاء يُلهم الحكمة، «**فمن أراد أن يتطهر عليه أن يتيه في الصحراء، ولا يستقر في السواحل بل في الواحات**»، وهي فضاء الزهد والعزلة والتصوف، تحملك إلى رحابة مختلفة لا تشبه المعهود، وقد اهتمام الباحثون ودارسي الأدب بكتابات الكوني، فكتبت مرزاقة زياني، في العدد الثاني عشر(12) من مجلة مقاليد، تجليات أسطورة الطوطم في رواية نزيف الحجر لإبراهيم الكوني، الودّان أنموذجا، وكتب مبروك كواري في العدد الثاني (2) من مجلة الباحث، النص الأسطوري وتشظي الدلالة في رواية نزيف الحجر لإبراهيم الكوني، وكتب إدريس المسماري الصحراء والموت والأسطورة في رواية "وطن الرؤى السماوية"، وغيرها من المقالات والبحوث الأكاديمية التي يصعب حصرها في بعض الأسطر...

ومن بين الروايات التي لفتت نظرنا من أول لقاء بالعنوان، روايةٌ لإبراهيم الكوني، التي وسمها بـ بعنوان جاذب هو "**من أساطير الصحراء**" يطالعك العنوان بجمعٍ بين الصحراء والأساطير، توأمة لفظية تجعل الفضول يأكل داخلك إن لم تتصفح تفاصيلها، لذلك تهدف هذه الدراسة للوقوف عند الرواية التي احتفت بالصحراء وأساطيرها، لتحلق بنا إلى معالم الممكن والمستحيل، دراسة تحيلك إلى عديد الأسئلة؛ أولها عن بنية العنوان وما يحمل من تفاصيل ضمنية، وثانيا عن خصوصية ما يخفيه من

تفاصيل سردية في أحداث الرواية، وثالثها ما يحمل اتساع الفضاء بين رمزية الأسطورة وأبعادها الصوفية، حتى تستدرج الأسئلة تباعا كيف بنى الكوني الأسطورة في هذه الرواية؟ وما هو الرمز الأسطوري الذي يحمل بُعدا سميائيا؟ وإلى ما يحيلنا البعد الصوفي؟ وما طبيعة العلاقة بينهما؟ وأسئلة أخرى ستجيب عنها الدراسة في أوانها، وقبل الإجابة عن الأسئلة السابقة، ما هي الأسطورة؟ وما هي أصولها؟ وما الفرق بينها وبين الخرافة؟

1-مفهوم الأسطورة؛

كثرت الكتب التي تحدثت عن الأسطورة، وفي مجملها هي؛ أحد أهم فنون الأدب الشعبي والشفهي، وهي أحد الفنون القصصية، تعبر عن أفكار ينتجها خيال الفرد أحيانا كثيرة، وقد جاء في لسان العرب: «**الأسطورة لغة واحدة للأساطير، وهي ما سطره الأولون، والأساطير الأباطيل، وأحاديث لا نظام لها، (...) وسطر فلان على فلان إذا زخرف له الأقاويل ونمقها**»[1]، ويتضح من المعنى اللغوي أن الأسطورة لا تتعدى التعبير عن معنى الأباطيل، التي يمكننا عدها أكاذيب، وقديما قالت العرب: "**أجمل الشعر أكذبه**"، فكلما ابتعد القائل على الحقيقة والتقريرية، كلما بالغ وأغرق، وبالتالي أبدع في سرد الخيال الساحر والأعاجيب.

والمتتبع لأصل هذا اللفظ يجد أن هذه الصيغة المفردة "أسطورة" لم تستعمل قديما بقدر ما استعمل الجمع منها "الأساطير"، على أن «**كلمة أسطورة تشبه كلمة هيستوريا اليونانية، وتدل على معنى القصة أو الرواية أو التاريخ، كما تدل على ما كتبه القدماء أو تركوه من روايات أو حكايات، وهي في الأغلب أحداث خارقة للعادة**»[2]، ثم استخدمت أسطورة كترجمة لكلمة (**Mythe**) والتي شكلت في الثقافة الإغريقية ملمحا مهما في ملاحمهم ومسارحهم وأشعارهم، فـ « (**Mythos**) **تعني الكلمة المنطوقة، ثم تحدد استعمالها بعد ذلك فأصبحت تعني الحكاية التي تخص الآلهة وأفعالها ومغامرتها**»[3]، لذلك عنيت تلك القصص "الأساطير" بوجود الآلهة، سواء كان وجودا طبيعيا يعكس قدرتها على التغيير والتصرف في مظاهر الطبيعة، أو تسخير الجن للإنس، أو وجودا رمزيا يعكس مثلا براعة الساحر الذي منحته الآلهة قدرة خارقة، وفي الحالتين أحداث الأساطير أحداث عجيبة، تدهش العقل بغرابة تأليفها، لذلك كان اشتقاق مفهوم الأسطورة من سطر أي «**ألّف الأساطير أو الأحاديث التي لا أصل لها، الأحاديث العجيبة والخارقة للطبيعي وللمعتاد**

عند البشر، (...) هي حكاية عن كائنات تتجاوز تصورات العقل الموضوعي، وما يميزها عن الخرافة هو الاعتقاد فيها»[4].

ويشير خليل أحمد خليل، إلى عنصر العجيب والخارق لدى الكائنات التي تؤدي دور البطولة في الأسطورة، كما أقر بأن الأسطورة موضوع اعتقاد، ليفرق بينها وبين الخرافة* بهذه الميزة، لذلك **فالأسطورة سرد قصصي، تجعل الخيال منهاجا لها، فيدعي قائلها ما لا يمكن تخيله عقل بشر، رغبة في التميز وإحداث الغرابة،** والأسطورة «ظاهرة ثقافية للإنسان البدائي القديم، وتُبنى على شكل حكاية تقليدية، في أزمنة تقليدية غير معروفة لدينا، وشخصياتها الرئيسية من الكائنات الماورائية، التي تصورها عقل الإنسان القديم، وخلق لها عالما تعيش فيه، ومنحها حياة من خياله المبدع ودونها، وعمل على انتشارها حتى صارت ظاهرة ثقافية شعبية متميزة»[5]

2-رواية "من أساطير الصحراء":

رواية "**من أساطير الصحراء**" لإبراهيم الكوني، رواية في واحد وخمسين ومئة صفحة (151) ، تحمل ثمانية عشرة قصة (18)، وسمها صاحبها بأسماء متعددة لكنّ الجامع بينها هو فضاء الصحراء، وما تحمله من دلالات رمزية وأسطورية، والقصص على التوالي هي: [الجبل، الحوار بمنطق العناصر الكونية، أخبار الكائنات، نذر البتول، خروج، الطائر المقدس، مولد الترفاس، وطن الرؤوس السماوية، ملك السراب، النخلة تصلي لأجل قاتلها، أمغار، الفخ، جرعة دم، تحويلات الضب بوحدة القياس الفلكي، البرزخ، الطريق إلى واو، العبور] بعضها قصص تامة والبعض الآخر يتفرع عنها عديد قصص الجزئية التي تحكي تفاصيل دقيقة، وقد تباينت القصص في حمولتها الأسطورية بين التكوين والتعليل والتأليه والرمز، رواية جمعت في تيه الصحراء الكبرى الممكن والمستحيل، فيها «**يتغطَّى الصحراوي بالسماء المرشوشة بالنجوم، ويتوسد العراء المفتوح، ينتقل كالغزال، ولا يرْكع لمكان، أنّه طليق مثل الطير وليس رَهينه تَنْتظر حلول موسم الحصاد في الكوخ**» رواية قدّم لها الكاتب والناقد توفيق بكار، ليمنحها بعدا مختلفا إلى أبعادها.

أ-العنوان

"**من أساطير الصحراء**" عنوان تحتويه جملة اسمية، بدأها الروائي بحرف الجر، ليجر إلينا شيئا من الدهشة، لحظة اللقاء الأول للقارئ بالرواية، "**من أساطير الصحراء**" عنوان يستدعي الوقوف والمكوث والهدوء، ليستدرجنا إلى معالم مغايرة، أصل صياغته "**بعضٌ من أساطير الصحراء**" أو "**شيء**

من أساطير الصحراء" فهو لم يذكر كل أساطير الصحراء، بل ذكر البعض منها، ما تعلقت أحداثه بالصحراء الليبية، «**فالعنوان يلخص فحوى الكتاب عامة، أو كما قال عنه السيوطي؛ إنه يجمع مقاصد الكتاب بعبارة موجزة في أوله**»[6]، وهو عند (جيرار جنيت): «**مجموعة من العلامات اللسانية التي يمكن أن توضع على رأس النص لتحدده، وتدل على محتواه لإغراء الجمهور المقصودة بقراءته**»[7].

يحيل العنوان إلى أحداث تحملك إلى معالم غريبة، معالم كشفها ريح الصحراء وخبئها، ليكتبها منطق الكوني في لغة استثنائية، فكان فاتحا لشهية التصفح ولرغبة والفضول، لاكتشاف ما تخفيه صفحات الرواية، "من أساطير الصحراء"، بوح بين السطور يخفي عالما مجهولا، يحملنا إلى التيه في دوامة الخيال، جسر يحيل إلى عالم الجن وما تشترك فيه عوالم الوهم والخرافة بين معالم الصحراء، هذا اللفظ الفضفاض الذي يدل على اتساع خيوط السراب التي تعمل على التضليل، اسم يحمل بين الرمل في اتساعه، صمت الليل وحرقة الشمس، أساطير تناقلتها الأجيال منها الخيال الجامح، ومنها الحقيقة التي عايشها أهلها، لفظ محفوف بصور الغرابة والسحر، «**فإذا تقرأ ما قد سطر لنا منه في صفحة تبهتك ضروب فيها من القصص العجاب، أحداثه بين حقيقة وسحر، عادي وخارق، وأبطاله الكائنات سائرها؛ الإنس والجن، والطيور والدواب، والزهر والشجر، والماء والحجر، والريح والسراب، كلّهم حيّ فيه، عاقل قائل فاعل، هي الخليقة بأسرها على ركحه تتحرك، تؤدي أدوارها، وتحدّث أخبارها لغرض له فيها مرسوم**»[8].

جمع الروائي خيوط الحكاية ليجعلها مزيجا، «**فيه من كتاب ألف ليلة وليلة، وشيّقه من المدهشات، ومن كتاب كلية ودمنة وتعاليمه الدفينة وراء شخوص البهائم والسباع**»[9]، ثم «**إذا شخّص لقن، وإذا جسّد جرّد معنى له هادفا مسدّدا، قريب القول بعيد الغور، يثني في العبارة بالإشارة، فيزاوج ويمازج بين الحس والفكر، والصورة والرمز، يقابلنا بوجهين، وبلسانين يكلمنا، في حديثه أحاديث، ولدلالته دلالات**»[10]، ف «**قصص رهيب مفاده في أكسيته من العجيب، يغرينا بخلبه من الأجواء، وبما في الأحشاء يشجي النفس ألوانا**»[11].

والمتمعن في روايات الكوني، يجد له ميزة مغايرة عن باقي الروايات، ف«**من أي باب دخلنا إلى هذا الأدب، إن قصة قصيرة أو رواية مطولة، لا نجد إلاّ الصحراء، ولا شيئا عداها، فهي مادته الأولى، ومناط الفكرة، المهاد وأفق الرؤيا، مسرح أحداثه ومنها أشخاصه، ومعانيه من**

أساطيرها، عالمه الواحد الأوحد»[12]، لذلك «**فللصحراء في أرضنا وُسعها من المدى، وفي ثقافتنا آيات مهد الشعر، ومهبط الوحي، مبعث الإسلام وحضارته الكبرى، التي بها تخلقنا على مرّ القرون، فإنها جزء لا يتجزأ من جسم البلاد، ولها من نارها ونورها في تكوين الأهل سيماء؛ وجوه سُمرٌ، وعون تحنّ إلى الضياء، وسخاء في الطبع، وفي الخيال رؤى كخطف البروق(...) وفي العشق بكاء أو دماء...»**[13]، ولا يستقيم البعد المادي للصحراء عند الكوني، مالم يرفقه بالبعد الحسي والروحي، فالصحراء هي الخيال و« **كم فيها من أساطير، ومن خيوطها جميعا نسج الكاتب أسطورة كبرى حبلى بالمعاني، تحكي عابرا أضاع السبيل، ومن حوله علامات (...) تنير فتدل، ومنها (...) مغريات تستهوي فتظل، وبين ذاك وهذا يسير بخطو آمن أو بقدم تزلّ، وإذا بالصحراء كناية عن الدنيا، وإذا بـ"الأزرق" رمز للإنسان، واحد على اختلاف الألوان»**[14]، وما الصحراء إلاّ ضرب من الأساطير والأحداث،

3-تشعب البناء الأسطوري:

ككل بناء قصصي، يشتمل على بداية يمهد من خلالها الكاتب أجواء الأحداث، وينتقل إلى عقدتها وتأزم الصراع فيها، ليختمها إما نهاية سعيدة أو مأساوية، تبدأ الحكاية في قصة "**الجبل**" وهو «**جبل علا كالصرح مرقى إلى السماء، وانكشف جوف في سفحه مطمور من القدم...»**[15]، مع رضيع استهل رحلته وأسفاره وهو يحبي في الصحراء، وهي إحالة رمزية لكل بداية، لكن الرضيع تمرد في القماطة، فكان يرفع رأسه إلى السماء، ويتابع في مهده يقول الكوني: «**بدأ الرحلة في القماط، تسلى بالسماء، فرأى الأنواء، رقعة ظلماء موشاة بعيون لامعة، تومئ ولا تتوقف عن مشاكسته بوميضها الغامض، يغيب في زحمة العيون كل ليلة، ولم يكفّ عن أسفاره حتى بلغ "آشيت آهض" »**[16]، كان يتبع (آشيت أهض)*، يبحث عن شيء ما، عن كنز ...كما كان يبحث كل أفراد قريته عن الغبار الأصفر، لكنه دخل عالما غريبا... نسي اسمه، أخذته الصحراء إلى التيه الذي لم يعد منه أبدا، وفي المقابل أم مفجوعة، صدقت الأسطورة بأن وليدها كاد له جن ماكر قبل أن يبدأ مسيرة حياته.

فالأسطورة قصة أو قصص حقيقية تقوم على عنصر حقيقي، هذا العنصر الحقيقي هو مركز الأسطورة، والجبل هنا إحالة رمزية لجبل جنوان* بصحراء ليبيا، وهو مركز الأسطورة وعنصرها الحقيقي، لكن يبدو أن الكوني، استثمر هذا المركز وانزاح عنه بأحداث أخرى تنضاف إلى الأحداث

التي رويت عن (جبل جنوان)، ففي الجزء الأول من السرد، تبدأ القصة المراد نقلها، ويتم تقديم الشخصية الرئيسية للقصة، كما يتم وصف المساحات أو الأماكن المختلفة التي تحدث فيها الإجراءات، كما يتم الكشف عن العناصر التي ستطلق العنان لمؤامرة الأسطورة المهمة، ويتم عرض أصل البطل وخصائصه الجسدية والنفسية بهدف إثارة اهتمام وخيال المتلقي، وفي هذا القسم من وسائل الإيضاح، يتم أيضًا الإشارة إلى الشخصيات الأخرى التي تشكل جزءًا من المؤامرة السردية. ويهيئ الكوني، بداية القصة بالمكان (الصحراء) «**ليوظف الأسطورة كمادة قصصية تقوم على مكنوناتها الرواية بكل تفاصيلها، فيعمد إلى إعادة ترجمة العوالم الأسطورية وإحياء شخوص وكائنات مخبؤه، والعجائبي فيها طبيعة مكانية يسوقها السرد لتصل إلى قناعة مفادها أن لا شيء فيها خارج الأسطورة**»[17]، ويبدأ سرد الأحداث بأفعال الأم المفجوعة.

الشكل 01–أفعال الأم لحماية رضيعها من كيد الجن

الأم
- لاحقته
- أغوته بحيل الساحرات.
- استبدلت في يده صرة الشيح.
- اخذت الصرة القديمة واحرقتها في النار.
- أعدت صرة جديدة وثبتتها في معصمه الأيمن.
- ذهبت إلى الساحرات، جاءت له بتميمة جديدة.
- نحرت فوق رأسه ديكا أبيض اللون.
- لوثته بدم الديك.
- اعدت له من المخ حساء.
- اشترت من العارّافين العابرين مُدية نحاسية جديدة، غرستها فوق رأسه بجوار الركيزة.

ويستثمر الروائي مراكز اسطورية ثانوية إضافة إلى المركز الأسطوري الرئيس، وهنا استثمر فكرة السكين أو السيف أو الـمُدية النحاسية، والتي يحملها أهل المنطقة، وعلى الرغم من أنها ليست لمقاتلة الجن، ولكن الطوارق وسكان الصحراء يعتقدون أن الجن، يخاف من الحديد، لذلك استعملها الروائي، وغرستها الأم فوق رأس الرضيع بجوار الركيزة قرب مهده، كي تبعد عنه الجن، لتبدأ خيوط الأسطورة بهذه البداية فيجعل الروائي للأحداث تفصيلا وتشعبا يحيلنا في كل مرة إلى رمزية الأسطورة، فذكر الروائي الأم في الصفحة الخامسة والعشرين (25)، بصفات وأحداث تحاول أن تستدرك رضيعها قبل أن تصدق تفاصيل الأسطورة، فكانت صورة الأم صورة المذعورة التي تمارس طقوسا معينة

منها المعقول في قوله "**لاحقته**" وأكثرها غير معقول فيما تبقى من أفعال، ضمن بعد رمزي بالنسبة لمن يشاهد أفعالها.

وفي تطور السرد تنشأ في القصة الأسطورية التعقيدات التي بدأت ملامحها في المقدمة أو البداية، في هذا الجزء توجد الصعوبات في حياة الشخصية الرئيسية مصحوبة بالعناصر الخارقة والرائعة وغير الواقعية، بشكل عام، ويرتبط ما يحدث للبطل بفعل سلبي أو عدم احترام لما تم تأسيسه، يمكن أن تقدم الأساطير في تطورها التغيير؛ التغيير في البيئة، التغيير في الشخصية ومساراتها، التغيير في الأحداث التي تم وصفها في البداية من أجل مزج الحقيقة مع غير الواقعي، وعادة ما تتدخل الشخصيات الأخرى في السرد في هذا الجزء.

وفي خصوصية الأحداث وتفرد الشخصية الأم باستدراجها لتلك الأفعال، حركت سرد الأحداث، بأفعال ملحّة تحاول من خلالها الأم المذعورة أن تحافظ على سلامة رضيعا الذي لحقه التيه، تيه لا يعيده إلى مهده، وإن عاد، يعود شاردا غير عابئ بدعابات أمه، يقول الكوني: «**لكنّ الوليد الذي سار وراء "آشيت أهض" ليلا، ومضى بعيدا في ساحة الوطن المجهول، لم يعد إلى الوراء نهارا**»[18]، ليعدد الروائي معالم وجع الأم من خلال ما يحدث للوليد:

الشكل 02–أفعال الرضيع التي أربكت الأم

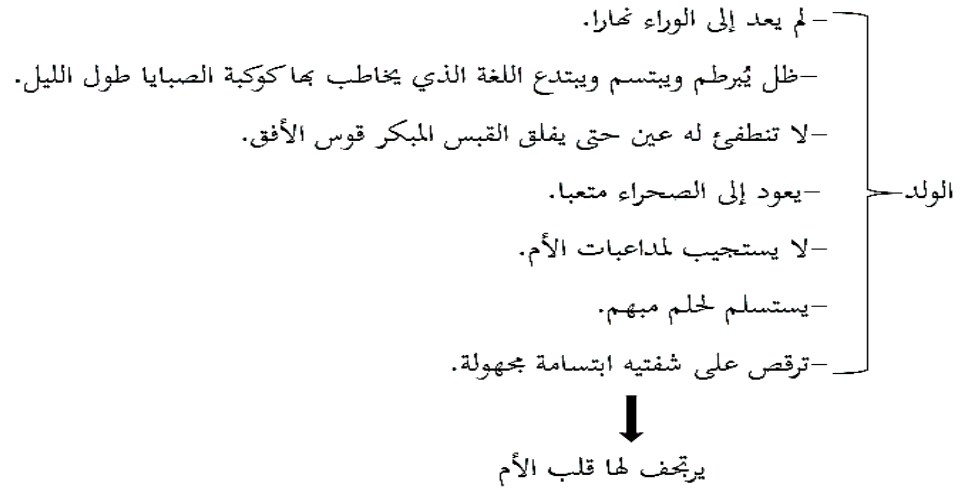

ويذكر الكوني الجبل، ويعقدُ مقارنة بين تمرد الرضيع وتمرد الجبل، هذا الرضيع الذي تمرد على القيد(القماط) وبدأ مسيرته زحفا على ركبتيه ويديه، فقد مضى قُدما سعيا، ودلالة الفعل **سعى** دلالة أفقية تحيلنا إلى التفسح في الأرض والابتعاد، وهو فعل مشترك بين سعي الوليد في تمرده على

القيد(القماط) ، وسعي الجبل في تمرده كذلك، هذا الواقف رغم كل الظروف الصعبة، الممتد إلى أعالي السماء، الذي تمرد على الحضيض، وسعى سعيا عموديا، ليغري -في أوراق لاحقة- الرضيع ليعتلي شعفته ليصل الروائي، إلى نتيجة بعد هذا التمرد مفادها أن الوليد لا يعرف «**هل يلتئم الشمل ويحدث اللقاء، بفضل عناد الجبل، أم أن الحسان تتنازل وتهرع للقائه في منتصف المسافة**»[19]، وتكتمل معالم أسطورة الرضيع مع الجبل، في الصفحة السابعة والعشرين (27)، يعدد فيها الروائي، أفعالا تعكس فاجعة الأم في صغير تملّكه التيه، وأخذه إلى معالم مجهولة، سلب منه الطفولة وسلبه من أمه، هذه الأم التي جربت كلّ الحيل بأفعال مناقضة للعقل لعلّها تستدرك وليدها الذي لا خلاص له إلاّ تفاصيل بالية قد تنجيه، من التيه، ويستعمل الروائي لفظ "التيه" بدل لفظ "الضياع" فكلّ الأفعال السابقة التي عكست رد فعل الام، بسبب رضيعها تحملنا بنية رمزية التيه، وهنا تقاطع أخر واستلهام من القرآن الكريم وإحالة إلى قصة تيه بني إسرائيل، قال تعالى:﴿ **قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ** ﴾[20]، وكما عوقب بنو إسرائيل بالتيهان في الأرض؛ «يسيرون إلى غير مقصد، ليلاً ونهاراً وصباحاً ومساء، ويقال إنه لم يخرج أحد من التيه ممن دخله، بل ماتوا كلهم في مدة أربعين سنة، ولم يبق إلا ذراريهم»[21]، كذلك الصبي دخل التيه ولم يعد أبدا...وان اختلفت اسباب تيه بني إسرائيل عن اسباب تيه الصبي، إلاّ ان لفظ التيه محملّ بالدلالات الرمزية التي تحيلنا مباشرة إلى القصة المركزية التي ذكر فيها لفظ التيه بدل الضايع.

وفي حالة كانت تخشى الأم حدوثها، تتحقق أسطورة تحدق بتفاصيل وجعها، لم تشفع لها صنيعها، فالسبيل الذي قرر مسيرة هذا الرضيع، وحكم عليه بالتيه في فضاء الصحراء، وبالتيه في عوالم مجهول، كان أقوى من كل الأفعال الجنونية التي كانت تحاول بها الأم استدراك الخطر واسترجاع الرضيع، لذلك فرمزية المكان فرضت رمزية تشعب البناء الأسطوري، ورمزية المكان فرضت أفقا مغايرا لرمزية الأفعال، التي اعتمدت الزمن الماضي في تسارع متصاعد كي يسرد لنا الراوي تفاصيل الحكاية، وعلى الرغم من كل ذلك التسارع في الأفعال والتوالي، تخذلها في الأخير البنية الفاعلة سريعة الحركة، ليرد الرضيع بفعل معتل الآخر، فيكسر قلبها ويزيد علتها ويحيل كل أفعالها للفشل، ليختم الراوي البنية والمشهد بالفراق، الذي كان فاصلا منذ ذلك اليوم.

الشكل 03-الفعل ورد الفعل بين الأم والرضيع

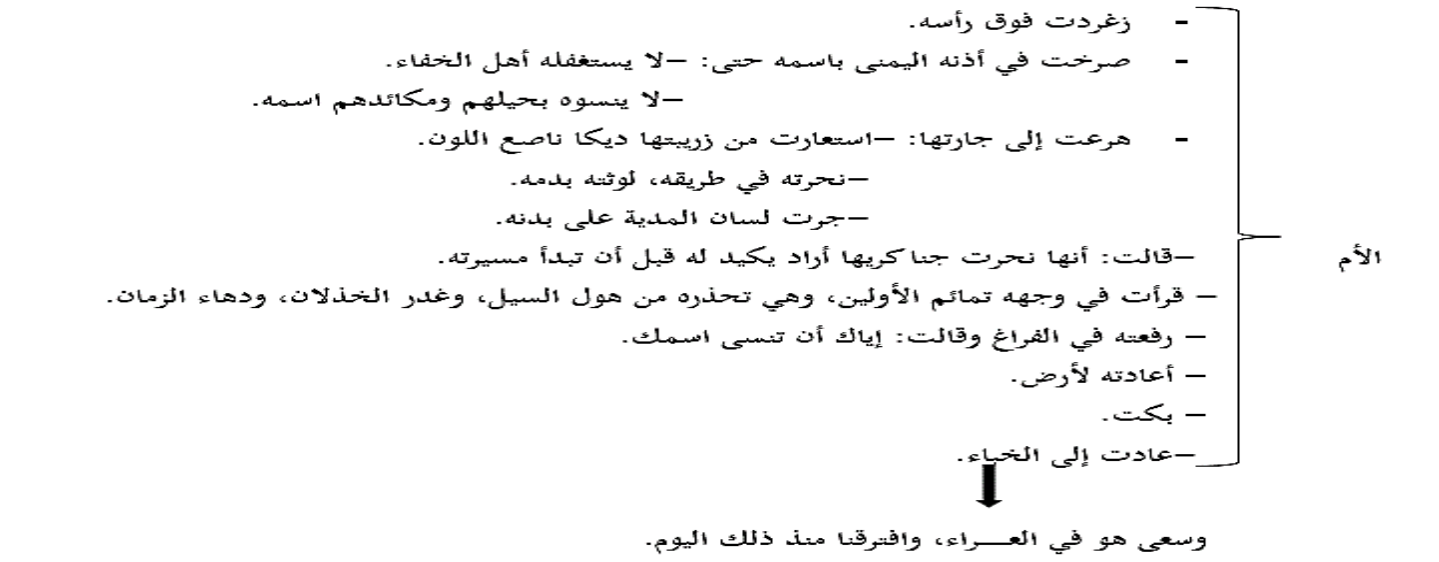

تكشف نهاية الأسطورة عن التحول الذي تمر به الشخصية الرئيسة (الرضيع) بعد كسر القواعد أو التصرف بشكل غير صحيح، في هذا الجزء من السرد، ينغمس البطل والبيئة المحيطة به في عالم جديد، بالكاد يعود إلى الحياة الطبيعية من ناحية أخرى، لذلك تظهر معالم بنية الرمز الأسطوري جلية، بعد أن اختار الولد مسار حياته ليصل إلى **"آشيت آهض"**، يحاول أن يصعد الجبل حتى يتوحد بكوكبة الصبايا، التي تتجلى له كل ليلة، فهو لم يكتف بمتابعتها فقط بل يحاول أن يلامس ملامح الجمال في هذه الكوكبة التي فتنته، لأن الجبل بعلوه هداه إلى بروج أخرى، إلى عالم جديد، إلى **"آشيت آهض"** الذي يراه في كل ليلة، وهو يلامس شعفة الجبل، فأراد أن يلامس تلألأ الكوكبة، وتبدأ رحلة الاكتشاف وبيان معالم الأسطورة التي خباها الجبل بين أحجاره،« **تدفق الزمان، فقاده السبيل إلى الجبل، لتصير له القامة المكابرة بيتا**»[22]، ويحيلنا هذا التغيير وهذه النهاية إلى أول ما اكتشفه الوليد، قبل مسار ارتقائه الجبل وهو الحجر في الحضيض، وهو عنصر من عناصر بنية الأسطورة التي يبني من خلالها الكوني تفاصيل سرده لأحداث جديدة، «**لوح من الحجر فيه حروف وجمجمة بالية، وقلّة على فمها ختم التواهي والختم شرّ في السر كامن متربّصٌ، وحذّرَ من القُلّة العرّاف، وافتكها لئام الصخر القائم، طمعاً في المزيد، حتى جعلته حضيضا، فكسروها، فإذا تبر يبرق كالجن خطّاف**» أحال الدنيا قفارا، بعد أن انكسرت القُلة...ونسي الصبي اسمه وتملكه التيه...تاه ولم يعد ابدا، ويفصل الروائي ما وجد الرضيع من بداية خروجه حتى حدوث الكارثة وتحقق نبوءة العرّاف.

أ–الحجر:

الشكل 04–الحجر الذي وجده الصبي

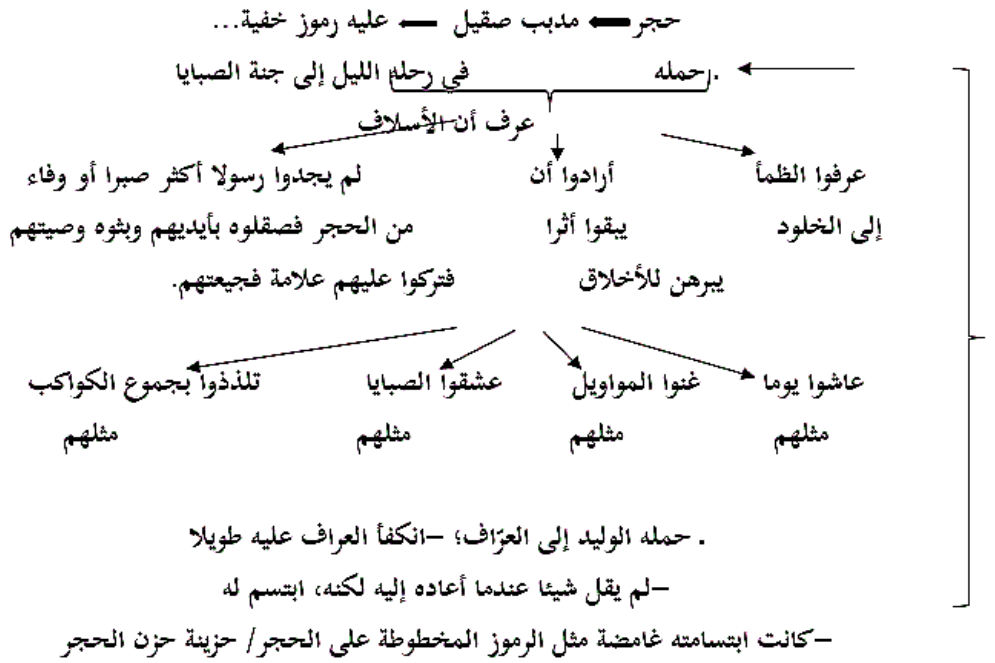

علم الوليد أن ثمة شيئا مختلفا في هذا الجبل، لذلك يلامس "آشيت آهض" كل ليلة شعفته فيضئ المكان، لذلك «**أخفى الحجر في جحر، ومضى يفتش السفح، ويكتشف مجاهل الجبل**»[23]، صعد الجبل، وصعد، وصعد، «**وجد لوحا حجريا مستطيلا مدفونا في كهف يجاور الشعفة العليا**»[24]، وللوح الحجري خفايا حكاية أخرى تختلف عن حكاية الحجر، والمخطط الموالي يوجز الأفعال والمراحل الاكتشاف ومعالم الأسطورة التي يخفيها هذا الجبل، لذلك كان "آشيت آهض" يلمع بريقا ونورا يحاول أن يشد انتباهه إلى الأمر، فسلّم الوليد وراح يتبع خيوط النور والبريق حتى بدأ يكشف المخفي والمستتر.

ب–اللوح الحجري:

الشكل 05–اللوح الحجري الذي وجده الصبي

ولم يقف اكتشاف الوليد لمعالم الجبل عند الحجر واللوح، بل اكتشف أشياء أخرى، وحتى الآن تتضح البنية المتشعبة للأسطورة —وإن كانت بنية الأولية–والتي تتمثل في الاكتشاف البسيط، أولا للحجر المدبب، وثانيا للوح الحجري المستطيل، وتبدأ معالم الأسطورة في التأزم بعد الاكتشاف الثالث، والذي سنعرفه العنصر الموالي.

ج–الجمجمة، وعين الماء، وقُلّة الفخار:

الشكل 06–الكنوز التي وجدها الصبي

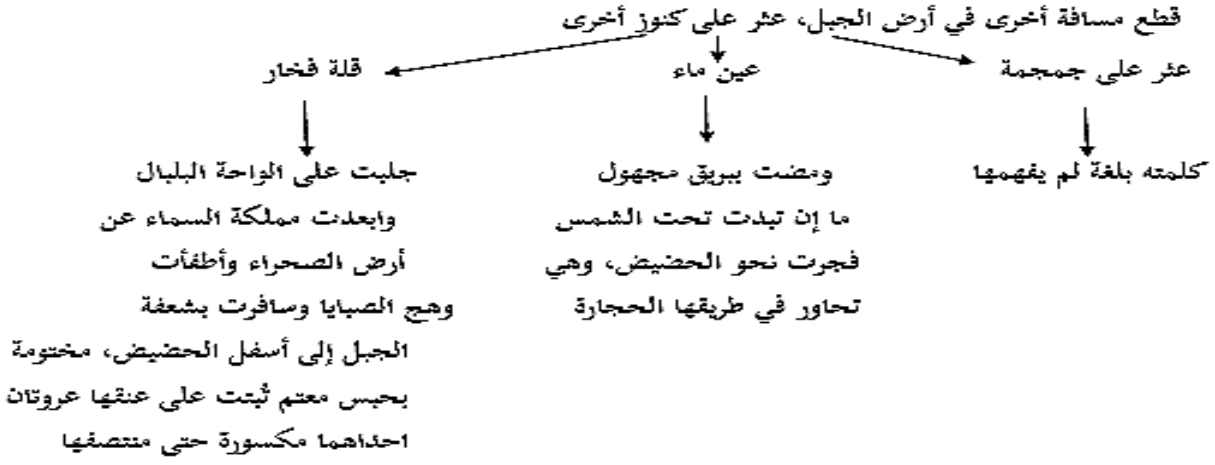

ويذكر الراوي أن الوليد أخذ القُلّة و«**هرع بها إلى العراف (...) رأى قلقا في عين العراف لأول مرة، قرأ التمائم المجهولة بصوت مسموع، رشق مدية شرسة بجوار القلة، دحرج اللقية بحذر من يشاكس حية، ثمّ رفع إليه عينا غاضبة، وقال: "اذهب بها إلى أبعد مكان، أحفر لها في الأرض أعمق هاوية، ادفنها في أسفل الأسافل، احترس أن يراك مخلوق، ففيها يختفي مارد مخيف، إذا خرج من القمقم أفسد في الأرض، ولن يقدر سلطان على الأرض أن يعيده إلى معقله مرة أخرى**"»[25]، ويتضح من هذا الاكتشاف وبعده أقوال العراف أن الأمر قد بلغ ذروته، وهي بنية أسطورية متأزمة ومتعددة استعمل فيها فعل الأمر في أكثر من مرة (اذهب، احفر، ادفن، احترس) وهي أفعال تنبئ عن خطر محدق يترصد المكان وأهل المكان، كما يحيلنا لفظ (قمقم، مارد) إلى حكايات ألف ليلة وليلة ويتناص معها، على الرغم من أنه لم يذكر لفظ القمقم، في بنية الأسطورة إلاّ كأسلوب للتشويق، لتنكشف البنية الأسطورية المعارضة، التي ستعكس سير الحداث وتتحقق مخاوف العراف أن هذه القلة ستجلب الخراب للأرض، ويستعمل الكوني، هذا اللفظ والفعل والبنية المستجدة للانزياح عن وتيرة الأحداث وخرق أفق الأمان والهدوء عند الوليد، وحتى في الصحراء قاطبة يقول: « **خرج من خباء العراف وسار في العراء، ولكنّ الأقران أدركوه وأحاطوا به...**»[26]، وبنية الحوار التي أحدثها الروائي تنبأ عن مشكلة بين الأطراف، ستغير مجرى البناء الأسطوري الخيالي أو النبوءة، وما تنبأ به العراف، إلى بناء اسطوري حقيقي، لتتجسد مخاوف الأم الموجوعة والمفجوعة في رضيع أخذه التيه، ومخاوف العراف تنبأ بحدوث كارثة إن حدث وفُتح ختم القُلة وخرج المارد من القمقم، «**لكنّ الاشقياء هجموا عليه، وانتزعوا القلة الخفية، وكسروها بحجر**»

الشكل 07–تحقق أسطورة المارد بعد كسر القُلّة

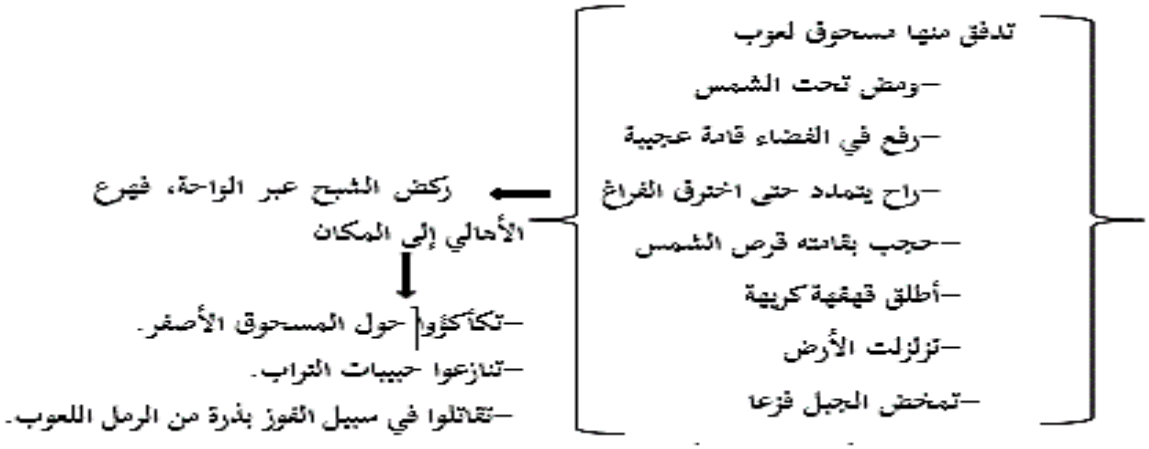

وبعد هذا الحادثة لم يبق الوليد وحده في حالة التيه، بل أن كل الأهالي أصابتهم حالة غريبة، أحدثت فوضى عارمة في الصحراء، غيرت حالهم وأحوالهم، فتغيرت حالة الوليد، وحالة الجبل والصحراء وكل الأهالي...

الشكل 08–حالة التيه بعد خروج المارد وتحقق الأسطورة

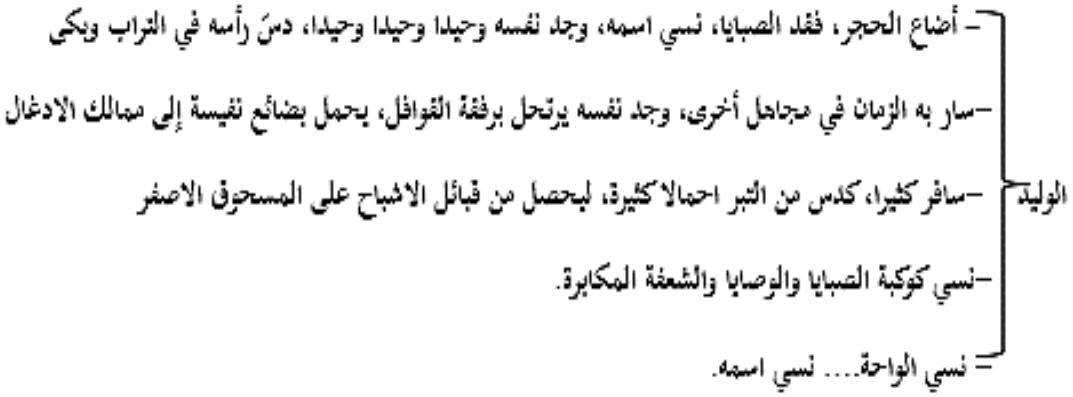

أما **الجبل** –فقد هامته المكابرة
–تحول إلى رابية حقيرة عارية من الحجارة ومن بهائها القديم.

الشكل 09–أفعال الأهالي للحصول على المسحوق الأصفر

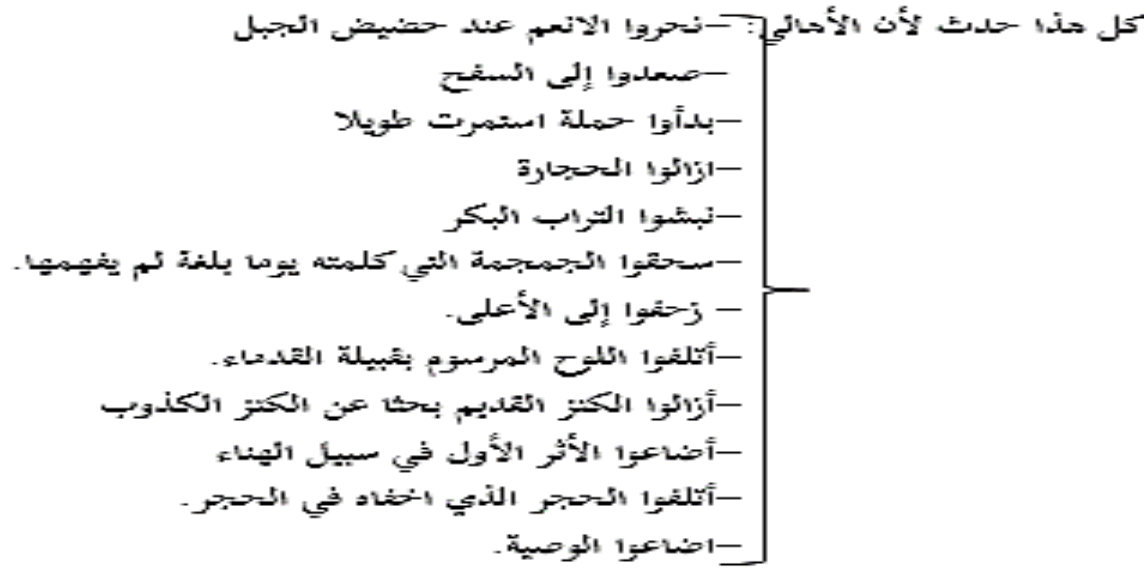

الشكل 10–ما بعد التيه

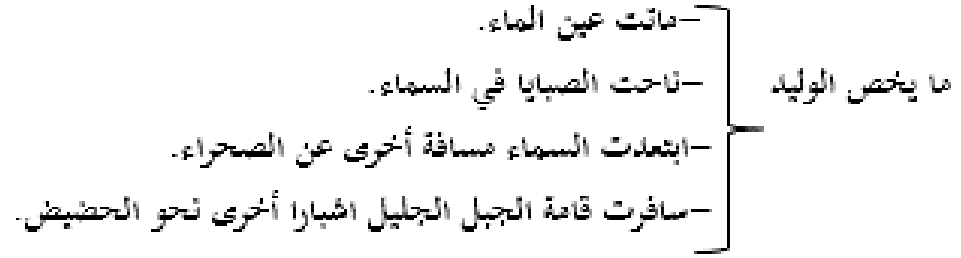

والمتتبع لأحداث هذه القصة يرى أن الأسطورة قد بُنيت في أول القصة بنية أحادية، تمثلت في مركز الأسطورة الجبل، الذي جمع بين حقيقة وجوده [**جبل جنوان أو مملكة الجن في صحراء ليبيا**] وبين الحكايات الأسطورية التي حكيت عنه، ومع تصاعد الأحداث مع الرضيع الذي أخذه التيه في الصحراء، تشعبت بنية الأسطورة لمراكز أسطورية ثانوية[**الحجر، اللوح الحجري، الجمجمة التي كلمت الصبي، عين الماء اللامعة، مارد القُلة، التيه**]، ليختم الراوي بنية الأسطورة بمواجهة ثلاثية الأطراف بين (الأرض–الإنسان–السماء) ليحكي عن مصير هذه الأطراف بعد التيه، ليفعّل ثنائيات

رمزية حركت المكون السردي وفعّلت أحداث القصة بتناقضاتها وانعكاساتها، فكانت ثنائية بي (الظهور–الخفاء) تحيل إلى مملكة الجن، أما ثنائية (الوجود –العدم) فأحالتنا إلى ما قبل التيه وما بعده، وثنائية (العلو—الاستفال) و (الصعود–النزول) فقد عكستا حالة الصبي وكذا حالة الأهالي وحتى الأرض قبل التيه وقبل تحقق الأسطورة وبعدها، فاللعب الثنائي لهذه الرموز جعل القصة كانها تصارع قطبين اثنين وبينهما تشعبات الأسطورة التياستقاها الروائي من احداث حقيقية وأخرى خيالية ليبدع هذه القصة التي تعني الكثير وتحيل إلى الكثير، والمخطط الآتي يبيّن مصير الثلاثية الأرض والإنسان والسماء بعد التيه.

الشكل 11–ما بعد التيه؛ مصير الأرض والانسان والسماء

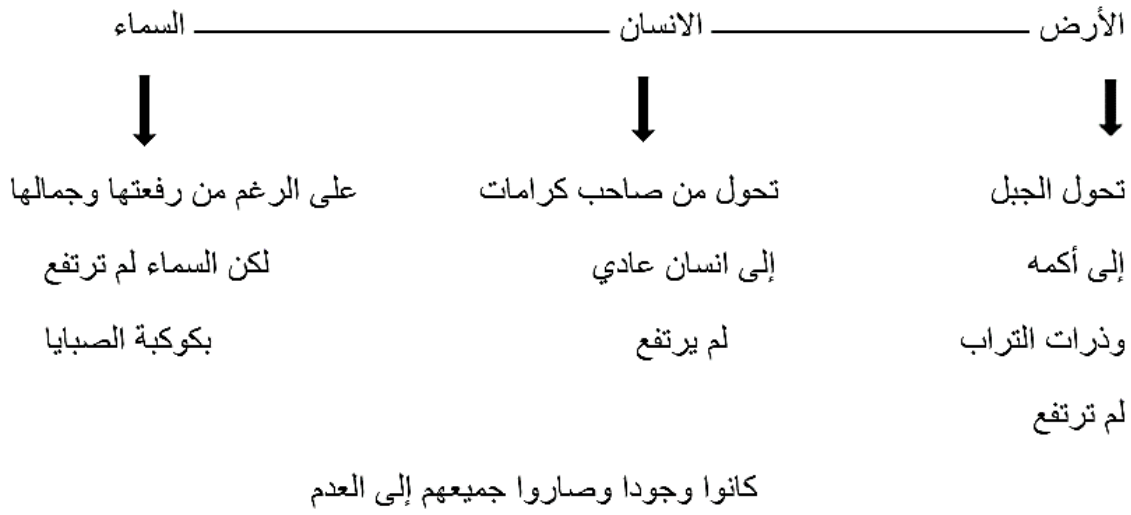

4–سمياء الرمز:

السيميائية هي«**العلم الذي يدرس الأنظمة الرمزية في كلّ الإشارات الدالة، وكيفية هذه الدلالة**»[27]، وهي «**كشف واكتشاف لعلاقات دلالية غير مرئية، من خلال التجلي المباشر للواقعة، ثم إنها تدريب للعين على التقاط الضمني والمتواري والممتنع، لا مجرد الاكتفاء بتسمية المناطق النصية أو التعبير عن مكنونات المتن**»[28]، ويتجلى الرمز السيميائي في الرواية بين اللفظ المستعمل ودلالته، حيث كان الراوي يحرك جملة من الرموز؛ كرمز السحر وما يوافق من إشارات دالة كـ(ساحرات، العراف، الكاهن)، ورمز الجن وما يرادفه في الاستعمال كـ(أهل الخفاء، الاشباح، المارد)، من دون أن يهمل رمز السماء والتي توحي إلى (العلو، الرفعة) ورمز الجبل الذي يوحي إلى (الشموخ والقوة) ورمز الأرض وما توحي اليه من (ثبات واستقرار) ورمز الصحراء وما تشير إليه من

(وحشة وسراب وقفر وجدب والتيه) وكل هذه الرموز تفاعلت فيما بينها لتسيّر بنية الأسطورة في تشعباتها وتعددها، وفق تزامن منطقي للسرد والأحداث، تجمع بين أطراف الحكاية.

فرمز السحر مثلا ظاهرة تقوم على قدرة بعض الأشخاص على تغيير الأشياء، بالتأثير عليها عن بعد، ويطلق «**على كل شيء خفي سببه، لطف، ودقّ، لذلك تقول العرب في الشيء شديد الخفاء: أخفى من السحر...**»[29]، لذلك فالسحر اسم لكل أمر خفي سببه، وتخيل على غير حقيقته، وجرى مجرى التمويه والخداع، استعمل الروائي لفظ السحر للدلالة على بعض الأفعال التي قامت بها الأم المفجوعة بابنها (**لاحقته، أغوته بحيل الساحرات، استبدلت في يده صرة الشيح، أخذت الصرة القديمة واحرقتها في النار، أعدت صرة جديدة وثبتتها في معصمه الأيمن، ذهبت إلى الساحرات، جاءت له بتميمة جديدة، نحرت فوق رأسه ديكا أبيض اللون، لوثته بدم الديك، أعدت له من المخ حساء، اشترت من العارفين العابرين مُدية نحاسية جديدة، غرستها فوق رأسه بجوار الركيزة**)، كل هذه الأفعال وغيرها هي رموز دالة على السحر وحيل الساحرات، لكن كل هذا لم يجد نفعا مع الوليد الذي سافر في التيه، فبنية الأسطورة والنبوءة تحققها أكبر من أي حيل، وأكبر من أي محاولة لإبطالها.

أما **رمز الجن**، فقد دلّ عليهم برموز وسمات عدة منها: (أهل الخفاء على لسان الأم، والشبح والأشباح حين تبينت رسوم اللوح الحجري، والمارد حين ظهرت القُلة المختومة على لسان العرّاف) فخوف الأم على رضيعها يفرض عليها استعمال دلالة رمزية تحيل إلى الخفاء والتخفي والخفة، وهي إشارة لعالم موازٍ، عالم مغاير لا تعرف معالمه ولا اشكال أهله، كل الذي تعرفه انهم قد يكيد أهله لرضيعها، أما العرّاف فبحكم معرفته لهذا العالم –وإن لم تكن معرفة كاملة– فقد استعمل اللفظ بمسمياته ودلّ عليها بألوانها، فالأشباح تم رسمها باللون الأبيض الشاحب على اللوح الحجري، في حين رمز للمارد، الذي خرج من القُلة فرمز له باللون الأصفر الذي يحيل إلى الجذب والأفول...

والملاحظ أن الروائي استعمل رمزا ثنائيا للدلالة على السماء (العلو، والسمو) كسمة للارتفاع والدرجة، ورمز الجبل بثنائية (الشموخ والقوة) كسمة للارتفاع والعظمة، ورمز الأرض (الثبات والاستقرار) كسمة للاستواء والهدوء، واستعمل رمزا ثلاثيا للدلالة على ما خفي كالسحر (الساحرات، الكاهن، العرّاف)، والجن (أهل الخفاء، الاشباح، المارد)، في حين استعمل رموزا متعددة ومتشعبة للدلالة على الصحراء (الوحشة والسراب والقفر والجدب العطش الصبر الاتساع السكون)، كسمة

للضياع والتيه وهذا التعدد الرمزي يزيد من فاعلية الفضاء كلما تعددت مراكز الأسطورة مما يحيل إلى تشعب بنائها، حتى لا يخلو هذا التشعب من أبعاد رمزية وأخرى اجتماعية، وثقافية، وصوفية، وسنكتفي بهذا الأخير.

5–البعد الصوفي:

وتحمل بنية الأسطورة بين طياتها بعدا صوفيا تمثل في الصيغة الأشمل التي يدعو إليها المتصوفة، والتي يمكن تلخيصها في ثلاث أطراف هي: **التخلي ــ التحلي ـــ التجلي**

بدأ مع الرضيع الذي **تخلى عن أمه، وتخلى عن عالمه،** وسافر في التيه، كي **يتحلى بسمات المغامر** ليستعد للرحيل كي ليواجه مصيره، أما **التجلي** فلم يكن على شاكلة تجلي المتصوفة، لكنه كان تجلٍ من نوع آخر، تجل تمثل في (آشيت أهض) الثريا أو كوكبة الصبايا، التي كانت تتجلى للرضيع كل ليلة على الشعفة العليا للجبل، والتي من أجلها تخلى عن طفولته وعن عالمه وسافر في التيه، ولا يستطيع الروائي التملص من مركز الأسطورة (الجبل) واحالته الدينية لقصة موسى عليه السلام، لكنه يحور حقيقة القصة إلى قصة مغايرة يمازج فيها بين الواقعي والخيالي وبين الحقيقة والابداع، ليخلق عالما من الكلمات التي ترادف وتناقض وتعاكس وتتناص مع كثير من الأحداث.

فحين يغيب في زحمة العيون كل ليلة، يتخلى عن حالة الواقع ليتحلى بحالة ساحرة لا تفسير لها، وهذه الحالة استمرت معه منذ كان رضيعا ثم صبيا ثم ولدا حتى غاب في حالة التيه، وذكرُ الكوني، للسماء هنا بـــ (العلو، والسمو) رمز دال فالعلو للارتفاع، والسمو درجة، **يحيلنا لحالة ارتقاء الوليد إلى عالم علوي،** يحمله على حالة سكون وجمال، ويذكر الكوني، في الصفحة السادسة والعشرين(26) حالة مماثلة، حين يدخل الوليد زحام الصبايا، ويمكن التمثيل لها بهذا المخطط:

الشكل 12–دخول الوليد زحام الصبايا (الثريا)

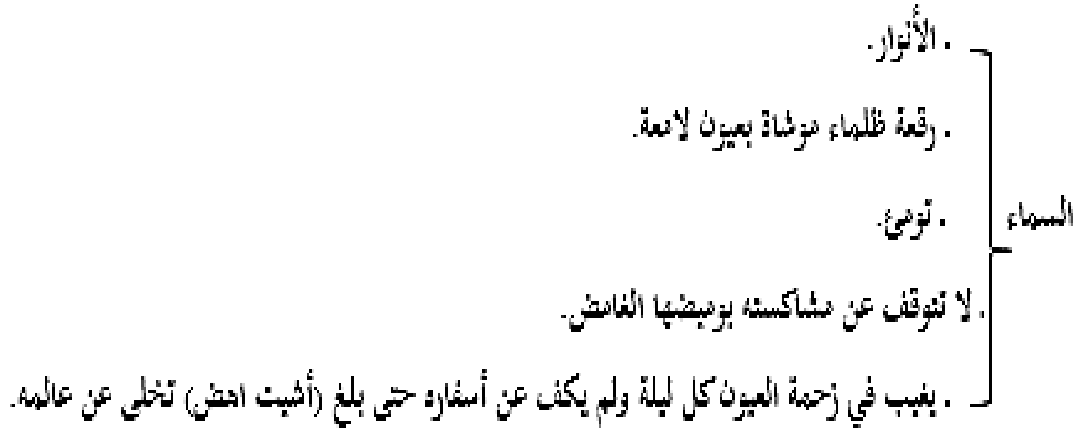

ويصور الروائي، الوليد وكأنه يحمل نبوءة أو يسير إلى قدر محتوم، وكأنه يهيئ لهذه الحالة، كل العناصر الكونية وحتى الحيوانات (طالمت بلغة الطوارق تعني الناقة) في انتظاره، فيمثل مساره خطوة خطوة، إلى أن يدخل حالة التيه أو المحو –بمصطلح المتصوفة–ولا يعود منها أبدا، وفق التدرج في المخطط الموالي:

الشكل 13–مراحل تدرج الوليد لدخول حالة التيه

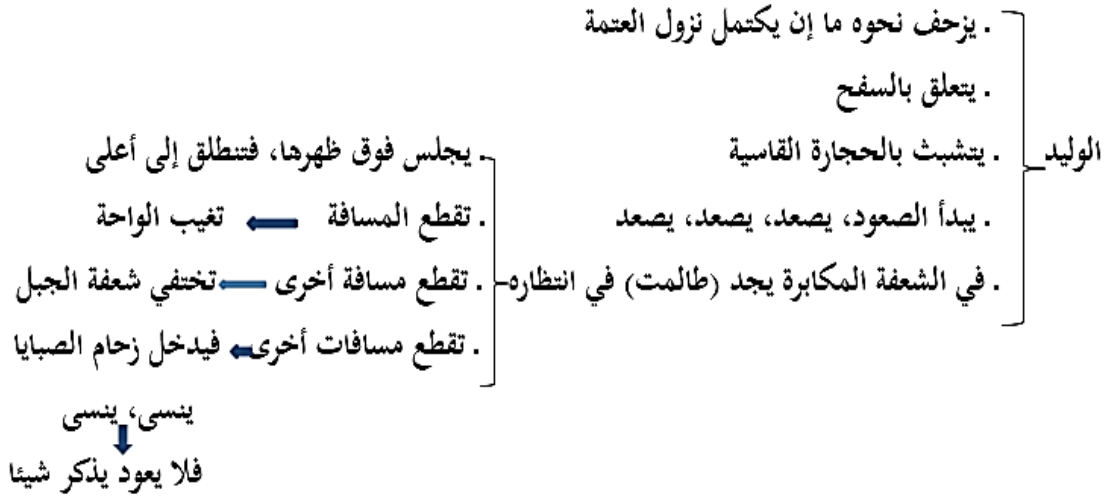

وكأن الوليد في هذا المخطط يدخل بعدا صوفيا، يغشى عليه في كل مرة متى يتجلى زحام الصبايا على شعفة الجبل فيدخل حالة المحو أو التيه، فينسى كل شيء ولا يتذكر شيئا، وقد اختار الروائي (الجبل) دون غيره لعلوه وشموخه وارتباطه بواقع تجلي الإلاهي في قصة موسى عليه السلام، وكذا ارتباطه بأسطورة مملكة الجن بجبل (جنوان) في الصحراء الليبية، ينضاف إلى ذلك تجلي "آشيت

آهض" أو الثريا ونورها والذي يرتبط بتجلي النور الإلاهي، قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا**﴾ الأعراف 143، وإن كان موسى عليه السلام قد خرّ صعقا، فإن الوليد قد دخل التيه ولم يعد أبدا...وما الأسطورة إلاّ قصة أو قصص حقيقية تقوم على عنصر حقيقي، هذا العنصر الحقيقي هو مركز الأسطورة، ويضيف المبدع من خياله فيحوّر الأحداث بما يخدم مسار السرد فيمنحها بعدا وفكرا جديدا، فالتلاعب الرمزي بمركز الأسطورة الرئيس ومراكزها الثانوية فعلّ أحداث المكونات السردية ومنحها ابعاد صوفية.

والمتصفح للرواية يلحظ من العنوان إلى مجمل قصصها، كيف حلق الروائي في صياغة بارعة إلى معالم السحر بأحداث عجيبة وخارقة للطبيعي والمعتاد، قد يقبلها أهل تلك المناطق فيعايشون تفاصيلها التي تتجاوز تصورات العقل والمنطق، لكن القارئ يظل متوتر الفكر حول قبولها ورفضها، ولا يمكن إلاّ أن يدرجها ضمن الأسطورة التي يعتقد أهلها بصدقها وبين الخرافة التي تتنافى من الصدق والعقل، فأسطورة الرضيع مع الجبل تحمل رؤية مختلفة بتفاصيلها، بشخوصها البشرية، وحتى مظاهر الطبيعة التي كانت في خدمة توالي السرد وأحداث الرواية التي جمعا قصصا تحكي المعقول وغيره في فضاء الصحراء الشاسع.

الخاتمة:

اعتمدت الرواية المعاصرة معالم الصحراء بعده فضاء خصبا للسرد الروائي، هذا الفضاء الذي يحمل بين كثبانه الرميلة وجباله الصخرية بعدا اسطوريا يحتفي بالحكايات الخرافية وغير المعقولة والعجيبة، وقد استثمر الكوني، هذا الفضاء وأبدع في السرد وتفصيل الاحداث، وفي المقابل اتسعت رؤية الصحراء باتساع آفاقها فهي مكان غني بإنتاجه الرمزي، إضافة إلى ذلك أنها أكبر فضاء للخلوة والتأمل، تحملك للهدوء والسكينة —على الرغم من الاتساع والوحشة–مما يجعلها بُعدا صوفيا له طقوس مغايرة، وهي موطن الأساطير، وغريب الحكايات، التي دارات مدار العجائبي في ذلك الفضاء اللامتناهي.

–قامت بنية الأسطورة على (بداية، وتطور لتعقيدات متشعبة، وخاتمة) عكست عالم الخفاء ليجمع الروائي بين ثنائيات ضدية رمزية تمثلت في (الظهور والخفاء) (الوجود والعدم) و(العلو والاستفال) (الصعود والنزول) ليجعل بنية القصة في حركة دائبة لا تتوقف.

-تظهر بينة الأسطورة أحادية في أولها للتشعب إلى بنى ثنائية وثلاثية، يجعل الإنسان المحور الأول الذي يدير بنية الأسطورة، يعينه في ذلك كل العناصر الكونية من الأرض الى السماء.

- الرواية مسرح حافل بالرمز الأسطوري، الذي يحرك البعد السيميائي، كما حفلت بالبعد الصوفي في دلالاته الحاثة التي تحيل القارئ إلى التأمل.

-يتفاعل البناء الأسطوري بين سيميائية الرمز والبعد الصوفي، ليخلق عالما من الأحداث السردية التي تجمع بين الواقعي والخيالي، ليمنح سيرورة إنتاج الدلالة بعدا متفرد يحملّ فضاء الصحراء حمولات إضافية.

-هذه قصة واحدة من الرواية؛ تشعبت فيها بنية الأسطورة وضاعف الرمز تعددت الأبعاد، لو لم نكن مقيدين بعدد من الأوراق لكتبنا أكثر، فما بالك بالرواية قاطبة !وهي تضجّ بسيمياء الرمزي السردي والتبئير، وبتعددية الأسطورة وتفاعل الأبعاد.

الهوامش

***ولد إبراهيم الكوني** بغدامس ليبيا عام 1948، أنهى دراسته الابتدائية بواحات جنوب ليبيا، والإعدادية بسبها، والثانوية بموسكو، حصل على الليسانس ثم الماجستير في العلوم الأدبيّة والنقدية من معهد غوركي للأدب العالمي بموسكو1977، يجيد تسع لغات، وكتب ستين كتابا يعيش في سويسرا منذ 1993، متفرغا للأدب حتى الآن، يقوم عمله الأدبي الروائي على عدد من العناصر المحدودة، على عالم الصحراء بما فيه من ندرة وامتداد وقسوة وانفتاح على جوهر الكون والوجود. وتدور معظم رواياته على جوهر العلاقة التي تربط الإنسان بالطبيعة الصحراوية وموجوداتها وعالمها المحكوم بالحتمية والقدر الذي لا يُردّ، نشر إنتاجه الأدبي في صحف ليبية وعربية وعالمية عديدة على مدى 38 عاما الاخيرة، وينتمي الكوني إلى قبائل الطوارق وهي قبائل تسكن الشمال الافريقي من ليبيا إلى موريتانيا كما تتواجد في النيجر ومالي والجزائر، وهذه القبيلة مشهورة بأن رجالها يتلثمون ونساءها يكشفن وجوههن. نال ابراهيم الكوني العديد من **الجوائز العربية والدولية**، أبرزها: جائزة الشيخ زايد للكتاب في دورتها الثانية عام 2008، جائزة الدولة السويسرية، على رواية" نزيف الحجر" 1995م ، جائزة الدولة في ليبيا، على مجمل الأعمال 1996م، جائزة اللجنة اليابانية للترجمة، على رواية " التبر" 1997، جائزة التضامن الفرنسية مع الشعوب الأجنبية، على رواية "واو الصغرى" 2002م، جائزة الدولة السويسرية عن رواية "المجوس" 2001، جائزة الدولة السويسرية الاستثنائية الكبرى، على مجمل الأعمال المترجمة إلى الألمانية، 2005م، جائزة الرواية العربية (المغرب)، 2005، جائزة رواية الصحراء (جامعة سبها، ليبيا) 2005م، وسام الفروسية الفرنسي للفنون والآداب 2006م، صاحب **اصدارت** غزيرة منها: الصلاة خارج نطاق الأوقات الخمسة (قصص)،1974 جرعة من دم (قصص) ،1983 شجرة الرتم (قصص) ،1986 رباعية الخسوف ،1989 البئر (رواية)، الواحة (رواية)، أخبار الطوفان الثاني (رواية)، نداء الوقواق (رواية)، التبر (رواية) ،1990 نزيف الحجر (رواية) ،1990القفص (قصص) ،1990 المجوس (رواية) الجزء الأول ،1990 المجوس (رواية) الجزء الثاني 1991م، ديوان النثر البري (قصص) ،1991 وطن الرؤى السماوية (قصص) ،1991 الوقائع المفقودة من سيرة المجوس (قصص) ،1992 خريف الدرويش

(رواية، قصص، أساطير) ،1994 الفم (رواية) ،1994 السحرة)رواية) الجزء الأول ،1994 السحرة (رواية) الجزء الثاني ،1995 فتنة الزؤان (رواية) ،1995 برّ الخيتعور (رواية) ،1997 واو الصغرى (رواية) ،1997 عشب الليل (رواية) ،1998 الدمية (رواية) ،1998 صحرائي الكبرى (نصوص) ،1998 الفزاعة (رواية) ،1998 الناموس (الجزء الأول) ،1998 (في طلب الناموس المفقود)الجزء الثاني من الناموس،1999 سأسِرّ بأمري لخلاّني الفصول (ملحمة روائية) الجزء الأول، الشرخ، ،1999 أمثال الزمان (الجزء الثالث من الناموس) ، 1999سأسرّ بأمري لخلاني الفصول (ملحمة روائية) الجزء الثاني، البلبال ، 1999 سأسرّ بأمري لخلاني الفصول (ملحمة روائية) الجزء الثالث، برق الخُلب ، 1999وصايا الزمان ،1999 نصوص الخلق ،1999 ديوان البر والبحر (نصوص) ،1999 الدنيا أيام ثلاثة (رواية) ،2000 نزيف الروح (نصوص) ،2000 أبيات (نصوص) ، 2000بيت في الدنيا وبيت في الحنين (رواية) ،2000 رسالة الروح، بيان في لغة اللاهوت (موسوعة البيان) جزء 1 أوطان الأرباب ،2001 بيان في لغة اللاهوت (موسوعة البيان) جزء 2 أرباب الأوطان ،2001 بيان في لغة اللاهوت (موسوعة البيان) جزء 3 الأرباب الاوطان ،2001 بيان في لغة اللاهوت (موسوعة البيان) جزء 4 (المقدمة في ناموس العقل البدئي)، بيان في لغة اللاهوت (ملحمة المفاهيم) جزء ،5 منازل الحقيقة ،2003 أسطورة حب الى سويسرا ،2003 لحون في مديح مولانا الماء ،2002 البحث عن المكان الضائع (رواية) ،2003 أتوبيس (رواية) ،2002 الصحف الأولى (أساطير ومتون 2004)، (مراثي أوليس)رواية 2004، صحف إبراهيم (متون 2005)، المحدود واللامحدود (متون 2002(، ملحمة المفاهيم (موسوعة البيان) ج ،6 ،2005 ملكوت طفلة الربّ (رواية) ،2005 لون اللعنة (رواية) ،2005 هكذا تأملت الكاهنة ميم (متون) ،2006 ملحمة المفاهيم ج ،3 (موسوعة البيان) ج ،7 (2006)، نداء ما كان بعيداً (رواية)، 2006مكان نسكنه.. في زمان يسكننا (رواية)، 2006 يعقوب وأبناؤه (رواية)، من أساطير الصحراء(رواية) 2006 ، 2007قابيل.. أين أخوك هابيل؟! (رواية) ،2007 الوَرَم (رواية) أما **مؤلفاته النظرية**؛ نقد ندوة الفكر الثوري 1970، ثورات الصحراء الكبرى 1970، ملاحظات على جبين الغربة 1974.

[1] ابن منظور: لسان العرب، مادة سطر، دار صادر، بيروت، لبنان، ج4، ص363

[2] إبراهيم مدكور ونخبة من الاساتذة: معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة، مصر، 1975، ص38 (بتصرف)

[3] نبيلة إبراهيم: اشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة، القاهرة، مصر ط2، ص10

[4] خليل أحمد خليل: مضمون الأسطورة في الفكر العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 1980، ص 08

* **الخرافة**: الخرافة حكاية بطولية مملوءة بالمبالغات والخوارق إلا أنّ أبطالها الرئيسيين من البشر أو الجن، ويقال إنَّ الخرافة كان رجلاً من عذرةِ أسرتهِ الجن في الجاهلية فمكث فيهن دهراً طويلاً ثم ردُّوه إلى الإنسِ فكان يحدِّث الناس بما رأى من الأعاجيب، فقال الناس: حديث خرافة.

[5] مُحَّد الطاهر سحري: رحلة في عالم الاساطير السومرية، مطبعة سيبوس، عنابة، الجزائر، ط1، 2007، ص 04

[6] وليد عثمان: شعرية الفضاء وغواية الصحراء في الرواية الجزائرية، رواية "سأهبك غزالة" لمالك حداد نموذجا، مجلة المختبر، العدد 10، 2014، ص214

[7] Gérard Genette : Seuils, Paris, 1987, p65

[8] إبراهيم الكوني: من اساطير الصحراء، تقديم توفيق بيكار، دار الجنوب للنشر، تونس، 2006، ص 7

[9] مقدمة الرواية بقلم، توفيق بكار، نفس المصدر، ص8

[10] نفس المصدر، ص9

[11] نفس المصدر، ص11

[12] نفس المصدر، ص-ص11

[13] نفس المصدر، ص 12

[14] نفس المصدر، ص15

[15] إبراهيم الكوني: من اساطير الصحراء، المقدمة، نفس المصدر، ص 16

[16] نفس المصدر، ص 25

* **أشيت أهض**: الثريا.

* **جبل جنوان**: ويسمى أيضا مملكة الجن، كما يطلق عليه اسم **جبل إدنان** تسمية تارقية-بلغة الطوارق-فإدنان هو اسم من أسماء الجن لدى قبائل الطوارق، ويقولون إن الجبل هو مملكة الجن في الارض، ويذكر أهالي المنطقة في مدينة غات، أن هناك كائنات كانت تعيش في المملكة الصخرية، يحكمها الملك المقيم في القصر الأعلى (كاف الجن)، الذي ما ارتقى إليه بشر إلا وغاب ولم يعد، ويقول اهل المنطقة أن الطارقي، دائما يحمل معه سكين أو سيف وخاصة في المناسبات الاجتماعية كالزواج على الرغم من أن السيف ليس لمقاتلة الجن، ولكن الطوارق يعتقدون أن الجن، يخاف من الحديد، وما يجعلهم متمسكين بتلك السيوف حتى في عصرنا هذا، ولا تنتهي الأساطير حوله، قديمة وجديدة، يقع جبل في الجنوب الغربي الليبي لا تنتهي أساطيره المخيفة، جبل غريب في هيكله الأسطوري، صخر يتداخل في نتوءاته مع هامه المرتفع، وثقوب واسعة يجلل أطرافها السواد واللون البني، أسطورته يكتبها كل من اقترب منه بطريقته الخاصة.

[17] خالد مُحَّد المحجوب: رواية الصحراء، وصحراء الرواية، دراسة مقارنة بين؛ "صلاة الغائب للطاهر بن جلول وواو الصغرى لإبراهيم الكوني، مجلة شمال الجنوب، العدد 7، يونيو 2016، ص15

[18] إبراهيم الكوني: نفس المصدر، ص26

[19] نفس المصدر، ص26

[20] سورة المائدة الآية 26

[21] بن كثير (الامام ابي الفداء إسماعيل، ت701 هـ-774هـ): قصص الأنبياء، تحقيق الدكتور: مصطفى عبد الواحد، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط3، 1408هـ-1988م، ص424

[22] إبراهيم الكوني: نفس المصدر، ص27

[23] نفس المصدر، ص28

[24] نفس المصدر، ص 28

[25] نفس المصدر، ص30

[26] نفس المصدر، ص 30

[27] صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، شركة أبو الهول للنشر، الشركة المصرية العالمية لونجمان، مصر، ط1، 1996، ص285

[28] سعيد بنكراد: السميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار، المغرب، ط2، 2005، ص12

[29] عمر سليمان الأشقر: عالم السحر والشعوذة، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط4، 2002، ص69

.....

.....

-القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

-المصادر:

1-إبراهيم الكوني: من أساطير الصحراء، تقديم توفيق بيكار، دار الجنوب للنشر، تونس، 2006.

قائمة المراجع:

2-بن كثير (الامام ابي الفداء إسماعيل، ت701 هـ-774هـ): قصص الأنبياء، تحقيق الدكتور: مصطفى عبد الواحد، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط3، 1408هـ-1988م

3-ابن منظور: لسان العرب، مادة سطر، دار صادر، بيروت، لبنان، ج4.

4-إبراهيم مدكور ونخبة من الاساتذة: معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة، مصر، 1975

5-خليل أحمد خليل: مضمون الأسطورة في الفكر العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 1980

6-عمر سليمان الأشقر: عالم السحر والشعوذة، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط4، 2002.

7-سعيد بنكراد: السميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار، المغرب، ط2، 2005

8-صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، شركة أبو الهول للنشر، الشركة المصرية العالمية لونجمان، مصر، ط1، 1996.

9-نبيلة إبراهيم: اشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة، القاهرة، مصر ط2، دت

10-مُحَّد الطاهر سحري: رحلة في عالم الاساطير السومرية، مطبعة سيبوس، عنابة، الجزائر، ط1، 2007

11-خالد مُحَّد المحجوب: رواية الصحراء، وصحراء الرواية، دراسة مقارنة بين؛ "صلاة الغائب للطاهر بن جلول وواو الصغرى لإبراهيم الكوني، مجلة شمال الجنوب، العدد 7، يونيو 2016

12-وليد عثمان: شعرية الفضاء وغواية الصحراء في الرواية الجزائرية، رواية "سأهبك غزالة" لمالك حداد نموذجا، مجلة المختبر، العدد 10، 2014.

13-Gérard Genette : Seuils, Paris, 1987.